الفصل الثاني

١- بداية ربانية

٢- كف الأذى

٣- المراقبة

٤- القيامة

١- بداية ربانية

مَن وَفَّقه الله ﷻ إلى روضة من رياض الجنة - ونعني بها حلقات الذِّكْر - ربما سأل نفسه عن أفضل ما يَصْنَعُ فيها وأول ما يبدأها به، فإن هو رجع إلى أصل الذِّكْرِ فَهِمَ أنَّ أساس الذكر هو القرآن الكريم، لقوله تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[١]، فالتعامل مع القرآن أفضل سبل الاتصال بالله ﷻ، وهو خير ما يُبدأ به، إنها البداية الربانية

الله ﷻ يُكَلِّمُنا

نستطيع أن نريد ربانية أي لقاء عندما نبدأه بالقرآن، ومِنَ المناسب أن نستفتح كل روضة لنا بتلاوة قدر من القرآن يتناسب مع حال الحاضرين، حتى لو تمكنَّا من تلاوة رُبعٍ - مثلاً - مع ضبط التجويد، إنها افتتاحية باركة لمحتوى الروضة، وبركتها تكمن في أنها تبدأ بحديث من الله ﷻ إلى ضيوف الروضة، إنَّ مَنْ أراد أن يُكَلِّمَ الله ﷻ دعا أو صَلَّى، أما مَنْ أراد أن يُكَلِّمه الله ﷻ فليتلُ القرآن، فهلا استمعنا إلى كلام ربنا ﷻ مع كل بداية؟!

ضيوف الروضة يُكَلِّمُونَ الله ﷻ.

بعد أن حاطنا الله ﷻ من خلال القرآن، جميل بنا نحن ضيوف الروضة أن نُكَلِّمَه ﷻ، وما ذلك عنا ببعيد، فهو ﷻ قريب، وقد قال تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[٢]، فلباح كل ما الله ﷻ،

١- الآية ٩ من سورة الحجر

٢- الآية ١٨٦ من سورة البقرة

وليتوجه إليه ﷻ بدعاء، وليكن أول دعائنا دعاءً يُصلح النية

دعاء يُصلح النية

لنسأل الله ﷻ أن يجعل لقاءنا هذا وعملنا هذا في ميزان حسناتنا، وأن يرزقنا الله ﷻ الإخلاص في العمل كله، وأن يتقبل منا العمل خالصًا لوجهه الكريم، مثل هذا الدعاء - كما ثبت من الممارسة العملية - يريد من شعور الإنسان برعاية اللقاء في رياض الجنة، ويريد من الشعور بالإيمان، إنه دعاء يستغرق دقيقة فقط، دقيقة واحدة في ميزان الرمز، لكنها ذات أثر مبارك على كل الرمز، رمز أي لقاء

ودعاء يربط على القلوب

والآن ونحن مازلنا في بداية اللقاء، في روضة من رياض الجنة، ونحن في جو الإيمان والدعاء، فهلا ربطنا قلوبنا بسنة مباركة، ألا وهي الدعاء بظهر الغيب[1]، لقد أخبر الله ﷻ لكل من يدعو لأخيه بظهر الغيب أجرًا عظيمًا، فهناك من الملائكة مَلَكٌ يبشر بأن للداعي مثل الذي دعا به لأخيه من الخير، فقد قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَدْعُو لأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ إِلا قَالَ الْمَلَكُ وَلَكَ بِمِثْلٍ" [رواه مسلم، الحديث ٤٩١٢]

يمكننا أن نترنم على ذلك ونشعر بحلاوته، إذا استحضر كل منا في ذهنه صور الحاضرين فردًا فردًا ويدعو لكل منهم سرًّا بالخير الذي يريد، ولا نتقيد بصيغة معينة، ولكن نتركها صيغة تخرج من القلب المتصل بالقرآن والمتصل بالله ﷻ

إنَّ حرصنا على أن نرفع هذه الدعوات المتبادلة في بداية أي لقاء،

١- بظهر الغيب يعني أن يكون الدعاء في غياب المدعو له، أو دون أن يطّلع عليه

سيقابله - بإذن الله - حرص من كل فرد على الحضور مبكرًا، خشية أن يفوته هذا الخير العميم من دعوات الصالحين، ورعا عمر الله هذا الدعاء للحاضرين أو لأحدهم، ورعا منع الله شرًّا عنهم أو عن أحدهم، ورعا عصمهم الله به من أنفسهم أو من الناس إذا استجاب الله ﷻ لهذا الدعاء.

ودعاء يسدد الخطوات:

يجب ألا تدع فرصة هذه الشحنة الإيمانية تفوت دون أن تترى على الارتباط بدعوتنا - دعوة الإسلام - ورموزها، فلا تبخل بدقيقة أخرى إضافية أو أكثر يخصّص فيها الدعاء للإسلام نفسه، وللدعوة ذاتها، ولرموزها خاصة، مرة يدعو أحدنا ويؤمّن وراءه، ومرة يدعو كل منا سرًّا، ولنعلم أن مثل هذا الدعاء قد يكون سبباً في إلهام رشد وسداد خُطًا وصحة قرار

*****

٢ - كف الأذى

إن إيذاء خلق الله ﷻ من الأفعال الدالة على خُبث النفس، وخاصة إذا كان الإيذاء دون سبب، وأفضل المسلمين من جمع إلى أداء حقوق الله ﷻ أداء حقوق المسلمين، قال بذلك ابن حجر العسقلاني في تعليقه على حديث النبي ﷺ «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ» [رواه البخاري، الحديث ٩] ونلاحظ أن رسول الله ﷺ قال من لسانه، ولم يقل بلسانه أو بكلامه، فهذا التعبير (من لسانه) يسحب معنى الإيذاء المنصوص على كل ما يكون من فعل اللسان، وإن لم يكن من الكلام، كأن يُخْرِج المرء لسانه لغيره فيؤديه بذلك دون أن يتكلم

يد البطش ويد القدرة

وفي ذكر اليد إفادة أخرى تختص بها اليد من دون الجوارح التي يمكن أن يحدث بها الإيذاء، ذلك أن لفظة اليد في الحديث كما تفيد المعنى الشهير - وهو الجارحة العضوية التي قد يعمل الإنسان بها عملاً يؤدي غيره فتكون يد البطش- فإنها أيضًا تفيد تلك القوة والقدرة المعنوية التي قد تُنزل الإيذاء بالغير، فهناك اليد المعنوية التي يُؤدَى بها الناس؛ كالسطوة والنفوذ والسلطة، إنها يد القُدْرَة التي تؤدي دون أن تُسْتَعْمَل اليد نفسها، وقد يكون ذلك بإعانة أو تحريض أو تأييد لمن يُؤْذِي أحدًا أو يظلمه، أو يكون ذلك بالتحلي عن نُصْرَة من وقع به الأذى مع الاستطاعة والقدرة على ذلك

كل إيذاء مرفوض

قد يكون اختصاص اللسان بالذكر كأداة من أدوات الإيذاء، لأنه هو المُعَبِّر عما في النفس، وكذلك قد يكون التصريح بذكر اليد، لأن أكثر الأعمال تكون بها، لكن القاعدة أن كل إيذاء مرفوض مهما كانت أداته التي يقع بها، حتى لو كان الإيذاء بمجرد الظهور بمظهر يضايق الناس، فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ. أَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَرَأَى رَجُلاً شَعِثًا قَدْ تَفَرَّقَ شَعْرُهُ فَقَالَ «أَمَا كَانَ يَجِدُ هَذَا مَا يُسَكِّنُ بِهِ شَعْرَهُ» وَرَأَى رَجُلاً آخَرَ وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ وَسِخَةٌ فَقَالَ. «أَمَا كَانَ هَذَا يَجِدُ مَاءً يَغْسِلُ بِهِ ثَوْبَهُ» [رواه أبو داود، الحديث ٣٥٤][1]

كف الأذى صدقة

إذا كَفَّ الإنسان ما أذاه عن الناس، فإن ذلك يوضع في ميزان حسناته كما لو تصدق بصدقة، فعن أبي ذَرٍّ ﷺ قَالَ سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ «إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَجِهَادٌ فِي سَبِيلِهِ» قُلْتُ فَأَيُّ الرِّقَابِ أَفْضَلُ؟[2] قَالَ «أَغْلاهَا ثَمَنًا وَأَنْفَسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا»، قُلْتُ فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ؟ قَالَ «تُعِينُ ضَايِعًا[3] أَوْ تَصْنَعُ لأَخْرَقَ[4]» قَالَ فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ، قَالَ «تَدَعُ النَّاسَ مِنَ الشَّرِّ[5] فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ تَصَدَّقُ بِهَا عَلَى نَفْسِكَ» [رواه البخاري، الحديث ٢٣٣٤]

---

١ – فيه (مسكين بن بكير) وهو ثقة عند ابن حبان ولا بأس به عند ابن معين

٢– المقصود إعتاق العبد

٣ – ضايعًا ذو الضياع من فقر وكثرة عيال، وفي رواية لأحمد ضايعًا، الحديث ٣٦٨ ٢

٤ – الأخرق الخامل الذي لا صنعة له

٥ – في رواية أحمد قَالَ «كُفَّ أَذَاكَ عَنِ النَّاسِ»، الحديث ٣٦٨ ٢

إيذاء الجار نقص إيمان:

من واجبات المؤمن؛ كف الأذى عن الجيران، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلا يُؤْذِ جَارَهُ ...» [رواه البخاري، من الحديث ٥٥٥٩]، ويُخشى على مَن يُؤذي جاره أن يكون إيمانه قد انتقص؛ فعَنْ أَبِي شُرَيْحٍ[1] أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «وَاللَّهِ لا يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لا يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لا يُؤْمِنُ» قِيلَ. وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الَّذِي لا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَايِقَهُ[2]». [رواه البخاري، الحديث ٥٥٥٧].

إيذاؤك جارك قد يحرمك من الجنة:

من أراد الجنة اعتزل كل عمل يحرمه منها، ومن خاف النار حرص على الجنة وتفادى كل ما يحرمه منها، أما مَن يُؤذي جيرانه فهو يُقرِّب نفسه من النار؛ لأنه يُغلِقُ باب الجنة أمامها، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ. «لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ». [رواه مسلم، الحديث ٦٦]

مَن خاف فليعمل:

مَن عَلِمَ أمر الإسلام بكف الأذى - خاصة عن الجار- ومن خاف على إيمانه أن يُنتقَص، ومَن خشي على نفسه أن يُحرَم من دخول الجنة، فلا بد له من عمل يعمله، وسلوك يسلُكه، ليترجم ذلك العلم، وليعبر عن هذه المشاعر

وأول تطبيق عملي لكف الأذى: إمساك اللسان، لقوله ﷺ «وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ». [رواه

---

١ - هو الصحابي الجليل خويلد بن عمرو بن صخر ﷺ

٢ - البوائق جمع بائقة او نائقة، وهي الشرور والإيذاء

البخاري، من الحديث ٥٥٥٩]، فهلا عَوَّدْنا أنفسنا على ضبط ألسنتنا؟ قد يكون في الأمر صعوبة، خاصة على مَن اعتاد إطلاق العنان للسانه، لكن ذلك يمكن أن يتحقق بالتدريج لو اشترط كل منَّا على نفسه أن يضبط لسانه في موقف واحد في اليوم الأول، ثم يريد موقفًا في اليوم الثاني، فإذا حل اليوم الثالث كان أقدر على أن يتحكم في لسانه ثلاث مرات في ثلاثة مواقف، وهكذا حتى يصل إلى أقصى ما يستطيع.

والمرأة تكف الأذى عن جيرانها بأن تتفادى – مثلاً – وضع صندوق قمامتها قريبًا منهم، ومحرصها على أن لا يسقط عليهم من غسيلها المنشور ما يضايقهم. كما تربي أولادها على مراعاة شعور الجيران وتمنعهم من إزعاجهم.

والوالدان يكفان الأذى عن أولادهما عند تأديبهم، فلا يضربان إلا للتعليم، ولا يضربان الوجه إن اضطرا إلى الضرب، كما يكفان الأذى عنهم بألا يدعُوَا على أولادهما أبدًا

*****

٣- المراقبة

بعد أن أوصاك عقلك واشترط عليك ما يُصلح حالك، وبعد أن تمت المتارطة وأقررت في كل صباح معاهدة[١]، لم تبق إلا المتابعة المستمرة، هذه المتابعة هي المراقبة، والمراقبة تصع النفس تحت رقابة من العقل صمانًا لتنفيذ شروط المعاهدة، وفوق ذلك فإنها تصعهما معًا - النفس والعقل- تحت مظلة الشعور بالمعية مع الله ﷻ

معية لا تَخفَى معها خافية:

المعية مع الله ﷻ هي استمرار الشعور بوجوده ﷻ معنا على الدوام، قال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[٢]، هذا الشعور يترتب عليه أن تحرص على إتقان كل أعمالنا، وأن نبتعد عن كل ما يغضب الله ﷻ، وهذا الشعور - شعور المعية - يبث في قلوبنا الخوف من أن يَطَّلِعَ الله ﷻ علينا في موقف لا يرضاه لنا، ولا نرضاه لأنفسنا، وهذه كلها من معاني المراقبة

مراقبة قبل كل عمل:

هناك مراقبة قبل الشروع في العمل، إنها مراقبة النفس حتى لا تعمل العمل لغير الله ﷻ، إنها الدافع إلى تحلية كل عمل نشرع فيه بالإخلاص، والإخلاص هو التوجه بالعمل إلى الله ﷻ والرغبة في الحصول على ثواب

---

١ - راجع الفصل الأول من هذا الباب

٢ - الآية ٤ من سورة الحديد

الله ﷻ من وراء هذا العمل، ويلزم ذلك أن تتخلص من هوى النفس المافي للإخلاص حين يكون هو الدافع للعمل، وهذا المعنى وإن كان في النفس مخبيًا دفينًا إلا أن الله ﷻ يعلمه كما يعلم الأمور الجهرية كلها، قال تعالى ﴿قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1]

مراقبة أثناء كل عمل.

وهناك مراقبة أثناء العمل، إنها استصحاب الشعور باطلاع الله ﷻ عليك وأنت تعمل، وهذه المراقبة تدفع إلى إتقان العمل وتحسينه وتنقيته من كل نقص أو فساد، وذلك يتحقق إذا ما عمل العامل وكأنه يرى الله ﷻ يراقبه، وهذه المراقبة تكون في الطاعات كما تكون في المباحات، بل هي مطلوبة أكثر إذا ما أغوى الشيطان النفس بالمعاصي

المراقبة في الطاعة إحسان.

يتحقق الإحسان بالمراقبة أثناء فعل الطاعات، وإذا كان العامل حقيقة لا يرى الله ﷻ، فإن ذلك لا يقلل من أهمية الأمر، لأن الله ﷻ يرى العامل يقينًا، قال رسول الله ﷺ في تعريفه للإحسان « أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ » [رواه مسلم، في الحديث ٩]

المراقبة في المباحات أدب.

المراقبة عند فعل المباحات مظهر من مظاهر مراعاة الأدب، ومن الأدب الشكر على النعم، وكلما تمتع الفرد منًا بنعمة من نعم الله ﷻ وهو يراقب الله فإنه - لا بد - سيجد نفسه شاكرًا، ومَنْ تأدب بأدب

---

١ - الآية ٢٩ من سورة آل عمران

الشكر سُبْحَانَهُ بزيادة الفضل والنعمة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[1].

ومن التزم المراقبة في الساعات لم يخرج بها عن مقاصدها بإسراف قد يُضَيِّعُها أو يُلهي بها عن واجبات

المراقبة في المعصية ندم وتوبة:

من التزم المراقبة تَذَكَّر التوبة عن المعصية مبكرًا، ومن لم يلتزم دوام المراقبة ربما أقلعت من التوبة معاصيه، وربما قلّت منه التوبة، ومَنْ أراد أن يكون من الذين يحبهم الله ﷻ فليكن من التوابين الذين يتطهرون من المعصية أولاً بأول، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾[2].

والتوابون هم كثيرو التوبة، وكثرة التوبة تترتب على سرعة إدراك المعصية واعترافها، ومن شأن المراقبة عند الاقتراب من المعصية أو الشروط فيها أن تدفع العبد إلى التوبة، فيكون ممَّنْ يحبهم الله ﷻ

مراقبة بعد كل حدث:

وهناك من المراقبة ما هو مطلوب بعد الأحداث والمواقف، فمن استشعر المعية مع الله ﷻ عند حدوث حادث، أو عندما تزل به مصيبة، أحجم عن التصرفات المعيبة، ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة، فعند موت ابنه إبراهيم قال ﷺ: «إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ». [رواه البخاري،

---

١ - الآية ٧ من سورة ابراهيم

٢ - من الآية ٢٢٢ في سورة البقرة

من الحديث ١٢٢٠]

تَنَبَّه فإنك مُرَاقَب وعلى كل شيء مُحَاسَب:

كل منَّا مُرَاقَب مراقبة لصيقة، ولا يخفى على ربنا ﷻ أي شيء نعمله، قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ﴾[1]، كما لا يغيب عنه ﷻ أي تصرف أو قول في ليل أو نهار، قال ﷻ ﴿سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾[2]، وكل ذلك محسوب لنا أو علينا، قال تعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[3]

على أرض الواقع.

وعلى المستوى العملي الواقعي يسعى أن نعترف بأن المراقبة من الأعمال التي تتطلب الصبر والتدرج والتربية حتى نستطيع أن نجني ثمارها، إن المداومة عليها تحتاج جهدًا، وليس من الحكمة والواقعية أن نطالب أنفسنا بالانتقال فجأة من الغفلة إلى المراقبة الكاملة، لذلك قد يكون من المناسب أن ندعو أنفسنا إلى كمال المراقبة كهدف بعيد، ثم نُوَطِّن أنفسنا على تعقد هذه المراقبة في الواحات العملية المتدرجة والمتزايدة، الواردة في دليلك هذا إلى رياض الجنة [4]

*****

١ – الآية ٥ من سورة آل عمران

٢ – الآية ١٠ من سورة الرعد

٣ – الآية ٢٨٤ من سورة البقرة

٤ – للاستزادة، يراجع مختصر منهاج القاصدين، ابن قدامة المقدسي، ص ٣٢٤، دار التراث العربي

٤- القيامة

الحياة ليست هي الفترة القصيرة التي تتمثل في عمر الفرد، ولا هي هذه الفترة المشهودة التي تمثل عمر البشرية على الأرض، فحياة الإنسان المشهودة هي الحياة الدنيا، ودارها الكون المنظور، ثم يمتد الوجود البشري في صور أخرى لا يعلمها إلا الله ﷻ، فتفتح الحياة الدنيا القصيرة على امتداد في الآخرة طويل لا يقاس، وتتسع هذه الدار الأرضية حين يضاف إليها جنة عرضها السماوات والأرض، ونار تسع جميع الخاسرين من كل الأجيال التي عمرت الأرض

الكل يموت والفرق عند القيامة

الكل يموت، الشجعان الذين يرقصون الدل يموتون، ويموت الجبناء الحريصون على الحياة بأي ثمن، ذوو الاهتمامات الكبيرة والأهداف العظيمة يموتون، ويموت التافهون الذين يعيشون فقط للمتاع الرخيص، المعتزون بدينهم المجاهدون في سبيله يموتون، ويموت أيضًا المستذلُّون للعبيد على حساب عقيدتهم وإيمانهم، الكل يموت ولكن هناك فرقًا، والفرق قد لا يظهر إلا عند القيامة

الموت قيامة شخصية

وعندما يموت الانسان، ويفارق الدنيا، ينقطع عمله، وتنتهي فترة اختباره، فتُكشف له الحُجُب، ويرى ما لم يكن يراه من عالم الغيب، ويعيش في النعيم أو العذاب، إن هذا الموت - الذي انفرد به صاحبه يمثل له انقلابًا هائلاً يعادل قيام الساعة، فمن مات قامت قيامته.

الساعة قيامة عامة:

ثم تأتي اللحظة الرهيبة حيث ﴿تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾[1]، إنها القيامة العامة التي تأتي على جميع الأحياء فتحلو الأرض من كل حي، ويسود السكون الشديد عقب الحركة الصاخبة، إنها القيامة العامة التي تدرك مَن بقي حيًّا حتى تميتها

البعث قيامة شاملة

ويسرح في الصور اللمحة التالية، فإذا الناس ﴿خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾[2]، إنهم البشر من لدن آدم عليه السلام الرسل والأنبياء وأتباعهم، والطغاة والمتكبرون وأشياعهم، وأمثال الأنعام من البشر الذين عاشوا من أجل شهواتهم، هؤلاء جميعًا يقومون إلى الله ﷻ في موقف واحد ينتظرون الحساب

الجزاء جوهر القيامة:

قد ينجو الظالم في الدنيا، وقد يعلو الباطل على الحق لفترة، فيموت الظالمون المبطلون دون قصاص أو عقاب، ويموت المظلومون المحقُّون دون نصر أو شفاء صدر، ويظن الظالمون أنهم قد أفلتوا، ولكن هيهات هيهات، فالظالم المبطل إنما يمر إلى حساب الله وعقابه، والمظلوم المحقّ يمر إلى إنصاف الله وعدله وإحقاقه، ويا له من حساب يقوم به الملك العليم العادل الخبير

١- من الآية ٢ من سورة الحج

٢- الآية ٧ من سورة القمر

فوائد ذكر القيامة:

ولما في ذكر القيامة من فوائد أقربها الانضباط في الالتزام بالعمل الصالح وتقوى الله ﷻ، والتخفيف من الغلو في حب الدنيا والحرص عليها، فنرجو أن نُوفق إلى عرض مشاهد القيامة على التوالي مشهدًا مشهدًا عبر أجزاء هذا الكتاب، عسانا نتذكر فنستعد

*****